

تفسير البحر المحيط

@ 514 الضحاك ، أو نمحها ، فلا نترك لها لفظاً يتلى ولا حكماً يلزم ، قاله ابن زيد ، أو نأمر بتركها ، يقال : أنسيته الشيء : أي أمرت بتركه ، ونسيته : تركته ، قال : % (إن عليّ عقبة أقيها % . لست بناسيها ولا منسيها . %) .

أي لا آمر بتركها . وقال الزجاج : قراءة ننسها ، بضم النون وسكون النون الثانية وكسر السين ، لا يتوجه فيها معنى الترك ، لأنه لا يقال : أنسى بمعنى ترك . وقال أبو علي الفارسي وغيره : ذلك متجه ، لأنه بمعنى نجعلك تتركها . وكذلك ضعف الزجاج أن تحمل الآية على النسيان الذي هو ضد الذكر ، وقال : إن هذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم) ، ولا نسي قرآناً . وقال أبو علي وغيره : ذلك جائز ، وقد وقع ، ولا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ أو بنسئله . واحتج الزجاج بقوله تعالى : { قَلِيلًا وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } ، أي لم نفعل . قال أبو علي : معناه لم نذهب بالجميع ، وحكى الطبري قول الزجاج عن أقدم منه . قال ابن عطية : والصحيح في هذا أن نسيان النبي صلى الله عليه وسلم) ، لما أراد الله أن ينساه ، ولم يرد أن يثبت قرآناً جائزاً . وأما النسيان الذي هو آفة في البشر ، فالنبي صلى الله عليه وسلم) معصوم منه ، قبل التبليغ ، وبعد التبليغ ، ما لم يحفظه أحد من الصحابة ، وأما بعد أن يحفظ ، فجائز عليه ما يجوز على البشر ، لأنه قد بلغ وأدى الأمانة ، ومنه الحديث ، حين أسقط آية ، فلما فرغ من الصلاة قال : (أفي القوم أبي ؟) قال : نعم يا رسول الله ، قال : (فلم لم تذكرني ؟) قال : خشيت أنها رفعت) . فقال النبي صلى الله عليه وسلم) : (لم ترفع ولكني نسيتها) . انتهى كلام ابن عطية . وأما من قرأ بالهمز فهو من التأخير ، تقول العرب : نسأت الإبل عن الحوض ، وأنسأت الإبل عن طمئها يوماً أو يومين ، أو أكثر آخرها عن الورد . وأما في الآية فالمعنى : نؤخر نسخها أو نزولها ، قاله عطاء وابن أبي نجیح ، أو نمحها لفظاً وحكماً ، قاله ابن زيد ، أو نمضها فلا ننسخها ، قاله أبو عبيدة ، وهذا يضعفه قوله : { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهُنَّ } ، لأن ما أمضى وأقر ، لا يقال فيه نأت بخير منها . وحكى عن ابن عباس أن في الآية تقدماً وتأخيراً تقديره : ما نبدل من حكم آية نأت بخير منها ، أي أنفع منها لكم ، أو مثلها . ثم قال : أو ننساها ، أي نؤخرها ، فلا ننسخها ولا نبدلها . وهذه الحكاية لا تصح عن ذلك الحبر ابن عباس ، إذ هي محيلة لنظم القرآن . .

{ نَأْتِ } : هو جواب الشرط ، واسم الشرط هنا جاء بعده الشرط والجزاء مضارعين ، وهذا أحسن التراكيب في فعلي الشرط والجزاء ، وهو أن يكونا مضارعين . { بِرَخَيْرٍ مِّنْهُمَا } : الطاهر أن خيراً هنا أفعل التفضيل ، والخيرية طاهرة ، لأن المأتي به ، إن كان أخف من المنسوخ أو المنسوء ، فخيرته بالنسبة لسقوط أعباء التكليف ، وإن كان أثقل ، فخيرته بالنسبة لزيادة الثواب . { أَوْ مِثْلَهُمَا } : أو مساو لها في التكليف والثواب ، وذلك كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة . وذهب قوم إلى أن خيراً هنا ليس بأفعل التفضيل ، وإنما هو خير من الخيور ، كخير في قوله : { أَن يُنْزِلَ عَلَيْهِ كُومٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ } ، فهو عندهم مصدر ، ومن لابتداء الغاية . ويصير المعنى : أنه ما ننسخ من آية أو نوخرها ، نأت بخير من الخيور من جهة المنسوخ أو المنسوء ، لكن يبعد هذا المعنى قوله : { أَوْ مِثْلَهُمَا } ، فإنه لا يصح عطفه على قوله : { بِرَخَيْرٍ مِّنْهُمَا } على هذا المعنى ، إلا إن أطلق الخير على عدم التكليف ، فيكون المعنى : نأت بخير من الخيور ، وهو عدم التكليف ، أو نأت بمثل المنسوخ أو المنسوء ، فكأنه يقول : ما ننسخ من آية أو نوخرها ، فإلى غير بدل ، أو إلى بدل مماثل ، والذي إلى غيره بدل ، هو خير أتاكم من جهة الآية المنسوخة أو المنسوءة ، إذ هو راحتكم من التكليف . وأما عطف مثلها على الضمير المجرور في منها فيضعف لعدم إعادة الجار . .

{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ؟ قال ابن عطية :
ظاهره الاستفهام المحض ، فالمعادل هنا على